نعمة العافية

الحمد لله ذي المن والإنعام، والإفضال والإكرام، جعل العافية أفضل نعمة بعد الإسلام، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، يا لطيفا لم يزل، الطف بِنا في ما نزل، واجعلنا في حصن التحص بك يا أول، يا من إليه الالتجاء وعليه المعول، وأشهد أن سيدنا وسندنا وفخرنا محمدا عبد الله ورسوله، اللهم صل على سيدنا صلاة دائمة بدوام ملك الله وسلم، وبعد،،،

فما أكثر النعم التي بين أيدينا وإن غفلنا عنها !!، والتنبه لهذ النعم وذكرها طريق الفلاح، قال الله تعالى: **(فَٱذۡكُرُواْ ءَالَآءَ ٱللَّهِ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ)** [الأعراف: 69]

أقليل أن يخرج الإنسان من بيته دون وجع وألم، ويمشيَ على الأرض بخطوات ثابتة، ويملأً صدره بالهواء في أنفاس رتيبة عميقة، ويمدَّ بصره إلى آفاق الكون فيرى الإتقان والجمال الذين أودعهما الله في كل شيء، قال الله تعالي: **(أَلَمۡ تَرَوۡاْ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَأَسۡبَغَ عَلَيۡكُمۡ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةٗ وَبَاطِنَةٗ)** [لقمان: 20]

أيها المعافى: من الخطأ أن تحسب رأس مالك هو ما اجتمع لديك من مال وعقار وذهب، إن رأس مالك الأصيل جملة المواهب والنعم التي أفاضها الله عليك وسلّحك بها، من ذكاء، وقدرة، وحرية، وفي طليعة المواهب والعنصر الأهم في ثروتك ما أنعم الله به عليك من صحة سابغة، وعافية تتألق بين رأسك وقدمك، وتتأنق بها في الحياة كيف تشاء، فالعافية ثالثُة ثلاث تُمثلُ الحياةَ بحذافيرِها: الأمنُ والعافية والقوتُ.. فقد قَالَ رَسُولُ اللهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- :(**مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمْ آمِنًا فِي سِرْبِهِ، مُعَافًى فِي جَسَدِهِ، عِنْدَهُ قُوتُ يَوْمِهِ فَكَأَنَّمَا حِيزَتْ لَهُ الدُّنْيَا).** [سنن الترمذيُ].

أيها المتقلبون في نعمة العافية تأملوا البيان المحمدي وهو يتناول كلمة العافية ويتحدث عن هذه النعمة:

فقد رتبَّ النبي النعم فجعل المرتبة الثانية للعافيةِ، فعن أبي بكر قال: سمعت رسولَ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ عليهِ وسلَّمَ يقولُ: **(لَم تُؤتَوا شيئًا بعدَ كلمةِ الإخلاصِ – يعنى الشهادتين - مثلَ**

العافيةِ فَسلُوا اللَّهَ العافِيَةَ) [شعب الإيمان للبيهقي]؛ لأنّ الإنسان المعافى قادر على أن يقوم بالطاعة والعمل والتعلم والكفاح، وأن يؤدي دوره – الديني والدنيوي- في الحياة على الوجه الأكمل الأتم، وأما عند غياب العافية فإن الإنسان يصير محدود الإمكانات.

وقدَّم النبي العافية على المال، **عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ خُبَيْبٍ -رضي الله عنه- عن عمه - رضي الله عنه- قَالَ" :كُنَّا فِي مَجْلِسٍ فَجَاءَ النَّبِيُّ -صلى الله عليه وسلم- وَعَلَى رَأْسِهِ أَثَرُ مَاءٍ، فَقَالَ لَهُ بَعْضُنَا: نَرَاكَ الْيَوْمَ طَيِّبَ النَّفْسِ، فَقَالَ أَجَلْ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، ثُمَّ أَفَاضَ الْقَوْمُ فِي ذِكْرِ الْغِنَى، فَقَالَ: لَا بَأْسَ بِالْغِنَى لِمَنْ اتَّقَى، وَالصِّحَّةُ لِمَنْ اتَّقَى خَيْرٌ مِنْ الْغِنَى)** [مسند أحمد]؛ لإنّ العافية نعمةٌ عظمى تتُيح للمرءِ أن يَسعدَ في الحياة، وأن يتنّعمَ بما أحَلّ الله له من الطّيبات، بينما المريضَ لا يجدُ اللّذة في كل مِتعِ الحياة، فالماءُ العذبُ مرٌّ في فمهِ ينُكره ولا يَسيغه، ولو شربهُ إنسانٌ مُعافى لوجدهُ عذبًا زُلالاً، كما قال المتنبي:

ومنْ يَكُ ذا فمٍ مُرٍّ مريضٍ ... يجد مُراً بهِ الماء الزُلالا

وكما قال الإمام البوصيري:

قد تنُكرُ العينُ ضوءَ الشمسِ من ... وينُكِرُ الفمُ طعمَ الماءِ مِنْ سَقمِ

وكَانَ نبينا يكثر الدعاء وسؤال العافية ويعلم ذلك للصحابة، وهذا يدلنا على أن العافية لا يعدلها شيء، فقد كان -صلى الله عليه وسلم- يدعو بالعافية في الصلاة وغير الصلاة، ففي الصلاة كان من أدعية الاستفتاح قوله -عليه الصلاة والسلام- : **(اللهمَ اغفِر لي، واهدِني، وارزُقْني، وعافِني، ويتعوَّذُ من ضِيقِ المُقامِ يومَ القيامة)**[سنن أبو داود]، وكان يدعو في الجلسة بين السجدتين فيقول: (اللهمَّ اغفِر لي، وارحَمني، وعافِني، واهدِني، وارزُقني) [سنن أبو داود]، وفي قنوت الوتر كان يقول: **(اللهم اهدني فيمن هديت، وعافني فيمن عافيت** ...) [سنن أبو داود].

وفي غير الصلاة كان -صلى الله عليه وسلم -يسأل ربه صباحًا ومساءً العافية في دينه ودنياه ونفسه وأهله وماله، وأمر أصحابه بذلك، **ابْنَ عُمَرَ** -رضي الله عنهما-، قال: لَمْ يَكُنْ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم -يَدَعُ هَؤُلَاءِ الدَّعَوَاتِ، حِينَ يُمْسِي، وَحِينَ يُصْبِحُ: **(اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْعَافِيَةَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْعَفْوَ وَالْعَافِيَةَ فِي دِينِي**

وَدُنْيَايَ وَأَهْلِي وَمَالِي، اللَّهُمَّ اسْتُرْ عَوْرَاتِي وَآمِنْ رَوْعَاتِي، اللَّهُمَّ احْفَظْنِي مِنْ بَيْنِ يَدَيَّ، وَمِنْ خَلْفِي، وَعَنْ يَمِينِي، وَعَنْ شِمَالِي، وَمِنْ فَوْقِي، وَأَعُوذُ بِعَظَمَتِكَ أَنْ أُغْتَالَ مِنْ تَحْتِي) [سنن أبو داود] .

وكان عليه الصلاة والسلام يعلّم أصحابه الدعاء بالعافية؛ فعن أبي مالك الأشجعي عن أبيه قال: كان الرجل إذا أسلم علمه النبي -صلى الله عليه وسلم- الصلاة، ثم أمره أن يدعو بهؤلاء الكلمات" :**اللهم اغفر لي، وارحمني، واهدني، وعافني، وارزقني**) [صحيح مسلم] .

وكان عليه الصلاة والسلام يستعيذ من ذهاب العافية وتحولها، **(اللهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ زَوَالِ نِعْمَتِكَ، وَتَحَوُّلِ عَافِيَتِكَ، وَفُجَاءَةِ نِقْمَتِكَ، وَجَمِيعِ سَخَطِكَ)** [صحيح مسلم] .

ولما كانت العافية في هذه المنزلة السامية، ولها هذا الفضل العظيم؛ كانت أول نعمة سيسأل عنها الإنسان يوم القيامة: ماذا عمل بها؟ هل استخدمت هذا العافية والصحة في العمل الصالح، في مساعدة الناس وقضاء حوائجهم لأن زكاة كل شيء من جنسه، في عمل نافع للبشرية، أم ضيعتها وأهدرتها بالسعي وراء الشهوات وما لا فائدة فيه، قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم" :- **إنَّ أوَّلَ ما يُسألُ عَنْهُ يَومَ القيامةِ - يعني العَبدَ - من النَّعيمِ: أن يُقالَ لهُ: ألم نُصِحَّ لكَ جسمكَ، ونُروِيَكَ من الماءِ البارِدِ؟)** [سنن الترمذي],

ولذلك أوصانا حبيبنا أن نغتنم ونستثمر وقت العافية؛ لأن الأحول متقبلة، ومن المحال دوام الحال، فعن ابن عباس -رضي الله عنهما- أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال **:(اغتَنِمْ خمسًا قبلَ خمسٍ: شبابَك قبلَ هَرَمِكَ، وصِحَّتَك قبلَ سَقَمِك، وغِناكَ قبلَ فقرِك، وفَراغَك قبلَ شُغلِك، وحياتَك قبلَ موتِك)** [مستدرك الحاكم] .

عباد الله: الواجب على العبد أن يحرص تمام الحرص على شكر الله ليل نهار على نعمة العافية، فأغلبنا يألف ما يجده من صحة وعافية، فلا يعرف روعتها وجلالها إلا إذا تعكرت عليه أو فقدها، وطول الإلف قد يتأدَّى بنا إلى الاستهانة، فبالشكر تكثر النعم

وتدوم، قال الله تعالى: **(وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ)** [إبراهيم: 7]، ويقول سيدي ابن عطاء الله: من لم يشكر النّعم فقد تعرّض لزوالها ومن شكرها فقد قيّدها بعقالها.

ونقول لأهل البلاء اصبروا واحتسبوا الأجر فقد قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم **(ما من مسلم يصيبه أذى من مرض فما سواه، إلا حط الله به سيئاته، كما تحط الشجرة ورقها)** [صحيح مسلم]، نسأل الله ان يديم علينا نعمة العافية، وأن يبارك لنا في صحتنا، ويوسع أرزاقنا، ويحسن ختامنا، وأن يشفى كل مريض .

كتبه: محمد محمد إسماعيل محمد ملكه مبعوث وزارة الأوقاف المصرية بالبرازيل .